الخطة «دمشق»

من الذى باعها لليهود

نشرت مجلة (آخر ساعة) فى عددها رقم ٧٩٩ الصادر بتاريخ ١٥ - ٢ - ١٩٥٠ المقال الخطير التالى :

العملية دمشق

هذا سر خطير من أسرار حرب فلسطين يذاع لاول مرة !

ومن سوء الحظ أن إذاعته لن تكون مفاجأة لقيادة الجيش الاسرائيلى ، وذلك لأن خطة العملية التى سميت بالاسم الشفرى « دمشق » - والتى كانت من أخطر عمليات حرب فلسطين - قد تسربت كلها الى اليهود

ولقد حدث أن أسر أحد الضباط المصريين الذين كانوا يشاركون فى تنفيذ العملية ، وكان من القلائل الذين يعرفون سرها ، وذهل الضابط المصرى - وهو الصاغ معروف الحضرى - لما وجد ضابط المخابرات اليهودى الذى كلف باستجوابه يقول له :

- إننا نعرف كل شيء عن العملية السرية التى تقومون بتحضيرها ونعلم كافة تفاصيلها ، بل نعلم أنكم أطلقتم عليها اسما سريا ليستعمل

فى الشفرة ، وهو اسم « العملية دمشق »

وحدث أيضا أثناء مفاوضات رودس لتوقيع الهدنة أن الدكتور بانش فاجأ المفاوضين المصريين مرة بقوله : لماذا لم تنفذوا « العملية دمشق » ؟

وبهت المفـــاوضون المصريون ، فقد كان المفروض أن سر « العملية دمشق » سر محصن بالكتمان

وحدث أيضا ما هو أدهى وأمر - أثناء مفاوضات رودس - فقد قال الجنرال يادين - رئيس هيئة أركان حرب الجيش الاسرائيلى الآن ، وكان وقتها يرأس وفد اسرائيل فى مفاوضات رودس - موجها الحديث للمفاوضين المصريين :

« أليس صحيحا أنه كانت هناك خطة تقضى بكذا . . وكذا ؟ »

وروى « يادين » بعد ذلك كل تفاصيل « العملية دمشق »

وكانت لجيعة وفد مصر فى هذا الموقف لا توصف ، ثم تحامل أحد أعضائه على نفسه وقال :

- ان هذا غير صحيح . . بدليل أن العملية لم تنفذ !

وابتسم « يادين » فى خبث ودهاء !

لو نفـــذت دمشق

ولقد كان المفاوض المصرى على حق فى قوله « إن العملية لم تنفذ » !

وكان « يادين » على حق فى ابتسامته المليئة بالخبث والدهاء !

فلو أن العملية دمشق نفذت لكانت النتيجة كارثة ماحقة

وكانت أولى النتائج أن تفقد مصر أربعة آلاف جندى وضابط كانوا محاصرين فى الفالوجة وان يفقد سلاحهم .. وقبل هذا كله شرف الجيش المصرى وسمعته !

ولقد اعترف الكولونيل عبد الله التل بك القائد الاردنى اللاجىء الى مصر « أن الخطة كانت مبيتة للقضاء على قوات الفالوجة بأكملها ! »

ثم يبقى بعد ذلك أن نسأل : ما هى الخطة .. وما هى قصة العملية دمشق ؟

الموقف : أكثر من حرج !

فى أواخر شهر أكتوبر سنة ١٩٤٨ كان الموقف العسكرى فى فلسطين حرجا بالنسبة للقوات المصرية .. بل لعل التاريخ فيما بعد، حين يروى القصة الكاملة لهذه الفترة سيصف الموقف فى ذلك الوقت بأنه « كان أكثر من حرج ، وأكثر من خطير » !!

وكان من أهم مراكز الخطر ان هناك أربعة آلاف جندى وضابط من الجيش المصرى محاصرين فى الفالوجة ، وهم يكوّنون ثلاثا من أبرز كتائب الجيش وأوفرها سلاحا !

وكانت القيادة العامة فى فلسطين والقيادة العليا فى القاهرة ،

دائبتى التفكير فى عمل شىء ما لاخراج قوة الفالوجة من الحصار

وكان المتفق عليه بين كل خبراء التاكتيك أن المحاولة الوحيدة لاخراج قوة الفالوجة من الحصار ، يجب أن تجىء من اتجاه « بيت جبرين » الى « الخليل » و « بيت لحم » لانها أقرب نقط عربية الى القوات المحاصرة

ولما كان جيش الملك عبد الله يحتل « الظاهرية » بقرب بيت جبرين فقد رأت القاهرة أن تتشاور مع عمان ، فى امكان القيام بمجهود مشترك لعمل شىء ما لقوات الفالوجة من هذا الاتجاه !

تعهد من جلوب باشا

وفى أول نوفمبر استدعى من عمان الأميرالاى سعد الدين صبور بك قائد سلاح الفرسان الملكى المصرى - وكان يقيم فيها بوصفه رئيس هيئة المستشارين العسكريين لجلالة ملك شرق الاردن !

وبقى صبور بك فى القاهرة عدة ساعات ثم سافر على الفور الى عمـــان

ومضى يوم ثم تلقت القيادة المصرية العليا فى القاهرة منه برقية شفرية تفيد أنه اتصل بالملك عبد الله لمحاولة عمل شىء وأن صاحب الجلالة الهاشمية أحاله على الجنرال جلوب باشا ليبحث معه الموضوع !

وبعد يومين تلقت القيادة العليا فى القاهرة رسالة شفرية أخرى من صبور بك هذا نصها :

« بعث إلىّ جلوب بالتعهد الكتابى التالى مع الماجور لوكيت :

أتعهد بالذهاب وإخراج لواء الفالوجة بأقل الخسائر الممكنة على شرط أن تصل الىّ موافقتكم فى ظرف ١٢ ساعة - سوف لا يذكر اسمى أو اسم الجيش العربى لأى مخلوق - عزام باشا يعرفنى وأنا أعمل هذه العملية بحبى لمصر - انتهى تعهد جلوب - أرجو سرعة البت فى هذا الموضوع الليلة »

وبعد ساعات أبرق صبور بك الى القاهرة بتفاصيل العملية التى يقترحها جلوب باشا ، وهذا هو ملخصها أو ملخص الخطة التى أطلق عليها الاسم الشفرى « دمشق » :

١ - يقدم الجيش العراقى كتيبتين

٢ - يقدم جيش شرق الاردن كتيبة واحدة

٣ - تقوم الكتائب الثلاث بالضرب فى منطقة بيت جبرين

٤ - فى أثناء انشغال اليهود مع الكتائب الثلاث يقوم الأميرالاى السيد طه بتدمير كل مدافعه الثقيلة ومواقعه . . ويأمر جنوده بالتسلل مشيا على الأقدام من طريق سرى يعرفه الماجور لوكيت الضابط الانجليزى بالجيش العربى ، وسيتسلل الى الفالوجة ليرشد المنسحبين اليه فى طريق خروجهم

٥ - يجب تنفيذ العملية بسرعة لأن الكتيبتين العراقيتين لن تبقيا فى الخط أكثر من خمسة أيام بسبب الحاجة اليهما فى الشمال

خبير فى التـــدمير

وفى نفس الليلة عاد الأميرالاى سعد الدين صبور بك فأبرق إلى القاهرة برسالة شفرية يقول فيها بالحرف الواحد :

« يدققون فى إرسال المستشار لتنفيذ العملية ، علما بأنه درس الأرض مشيا على الأقدام ، ويعلم المسالك والمخابىء التى لا يمكن إرسالها باللاسلكى - ستسحب القوات ليلا بعد تدمير أسلحتها الثقيلة وستجرى عمليات مشاغلة فى جهات متعددة - أرجو سرعة البت »

وبدأت القاهرة - بنواياها الطيبة التى تفوق طيبة الملائكة ! - تفكر فى الخطة جديا

وشهدت الأيام الثلاثة التالية لهذا عدة خطوات عملية . .

انتقل سعد الدين صبور بك من عمان إلى قرية صغيرة اسمها « خربة عوا » قريبة من بيت جبرين . .

وبدأ « لوكيت » - الذى أطلق عليه صبور بك فى رسالتـــه للقاهرة لقب « المستشار » - يعد العدة ليتسلل الى قوات الفالوجة ويحمل اليها التفاصيل . . .

وتسلل « لوكيت » فعلا ومعه ضابط مصرى هو الصاغ معروف الحضرى عن طريق خربة الوبدة فالجحظ فعراق المنشية فالفالوجة !

ولم ينس الماجور لوكيت أن يصحب معـــه فى تسلله جاويشا

بريطانيا خبيرا فى التدمير ليتولى نسف المدافع الثقيلة المصرية التى لا تستطيع القوة المنسحبة أن تحملها معها

محـاولة انتحار

وفى صباح ٢٠ نوفمبر وصل لوكيت الى الفالوجة وكان يرتدى سروالا من التيل الكاكى الطويل وقميصا من الصوف ويضع على رأسه عقالا أحمر محلى بشارة الجيش العربى . . وجلس لوكيت على صندوق خشبى قديم وأخرج من جيبه علبة من النشوق وأخـــذ يعطس . . ثم تحول ببصره الى مواقع الضرب وأحصى ستا وثلاثين قنبلة سقطت على مواقع الفالوجة فى برهة قصيرة ، ثم بدأ يتكلم مع الأميرالاى السيد طه ويشرح له خطته

وقال لوكيت ـ وهذا نص كلامه ـ « انه يحمل أوامر من الملك عبد الله ومن صبور بك لسحب قوات الفالوجة الى الخليل بعـــد تدمير المدفعية والعتاد الثقيل والعربات ، على أن يكون انسحاب الجنود بسلاحهم الشخصى وأقصاه مدفع البرن الأوتوماتيكى »

وأبدى الأميرالاى السيد طه بك تشككه فى إمكان تنفيذ هذه العملية بهذه البساطة . . وقال لوكيت فى إصرار باللغة الانجليزية : But we have to risk it ! أى يجب أن نقوم بهذه المخاطرة !

اطرد ذلك السكـــير

وعلم القائد العام فى غزة اللواء أحمد فؤاد صادق بهذه الخطة من الفالوجة ، فقد أبرق اليه السيد طه يقول ان عنده فى الفالوجة الآن

الماجور لوكيت وجاويشا بريطانيا إخصائيا فى التدمير . ثم روى له الخطة .

وبحثت القيادة العامة فى غزة الخطة من كافة نواحيها وكان رأيها يتلخص فيما يلى :

١ ـ أنه لا يمكن الاطمئنان الى خطة يضعها جلوب باشا

٢ ـ أن مثل هذه الخطة لا يمكن أن تخفى على اليهود ما دامت قد أصبحت شائعة الى هذا الحد فى عمان .

٣ ـ أن سحب أربعة آلاف جندى مشيا على الاقدام فى مواقع يحتلها اليهود يعرضهم جميعا لخطر الابادة

٤ ـ أن نسف المدافع والسيارات سيلفت أنظار اليهود ، ثم إن نسفها وتدميرها خسارة فادحة على الجيش

٥ ـ أنه لا يمكن الاطمئنان الى قيمة عمليات « المشاغلة » التى افترض أنها ستشغل اليهود وتلهيهم عن عملية الانسحاب

٦ ـ أن ٤٥ كيلو مترا مسافة طويلة لجندى منسحب على قدميه تحت وابل من رصاص العدو

وأخيراً أبرق اللواء أحمد فؤاد صادق باشا إلى الأمـــيرالاى السيد طه يقول له : « ارفض هذه الخطة . . واطرد ذلك السكير لوكيت من مواقعك . . أى مجد عسكرى فى مثل هذا العمل . . انها كارثة محققة . . دافعوا عن مواقعكم لآخر طلقة ولآخر رجـــل ، فهكذا يجب أن يكون جنود مصر »

تعهـــدات فى الهواء

وبدأت الخطة « دمشق » تهتز . . ودارت مخابرات ومحادثات ، ثم وافق القائد العام اللواء فؤاد صادق عليها بشرطين هامين :

الأول ـ أن تبدأ الكتائب العراقية والأردنية الثلاث عملياتها وتحتل بيت جبرين

الثانى ـ أنه فى ذلك الوقت يستطيع القائد العام أن يطمئن الى جدية المساعدة ، فيصدر أوامره الى قوات الفالوجة أن تنسحب الى بيت جبرين مقاتلة . . لا متسللة .

وبذلت عدة مساع لتوفير الضمانات التى يطلبها القائد العـــام المصرى . . ثم شاء القدر أن تنكشف الخطة دمشق . .

فقد رفض الجيش العراقى أن يقدم الكتيبتين اللتـــين تعهد بتقديمهما لتقوما بمشاغلة العدو ، ثم اعتـــذر جيش شرق الأردن ـ الذى يقوده جلوب صاحب الخطـــة ـ بأنه لا يستطيع توفير الكتيبة التى تعهد بتقديمها !

وعاد القائد العام يبرق الى السيد طه قائلا :

« اطرد ذلك (السكير) لوكيت من مواقعك »

تفضل من هنـــا

ويبقى سؤال هام :

من هو « لوكيت » ؟

« كان الماجور لوكيت ضابطا فى المخابرات الانجليزية ، وخدم فترة فى فلسطين ، وكان ياورا للجنرال ونجت الذى أشرف عـــلى تدريب جيش الهاجاناه اليهودى . . ثم نقل ونجت الى بورما ومعه « لوكيت » . . وعاد لوكيت وحده بعد الحرب الى الشرق الأوسط ، وكانت القلاقل قد بدأت فى فلسطين ، فتقـدم الى عبد الرحمن عـزام باشا الأمين العام للجامعة يطلب استخدامه مع قوات المتطوعين ، واستأجرته الجامعة العربية فعلا ـ مع الأسف ! ـ ثم فجـأة انتقل ضابطا فى صفوف الجيش العربى وأصبح موضع سر جلوب باشا » .

ولقد ثار « لوكيت » لما استدعاه السيد طه الى قيادته صباح أحد الأيام وأبلغه بأدب أن وجوده فى الفالوجة أصبح أمرا غير مرغوب فيـــه .

اليهود كانوا ينتظرون صيدا وفـــيرا

وخرج « لوكيت » من الفالوجة ، ولـكن قصـة العملية دمشق لم تنتـه !

وبعد خروج « لوكيت » تسللت وراءه قافلة مصرية مكونة من سبعة عشر شخصا بينهم الضابط معروف الحضرى الذى جاء مـــع لوكيت ، وكان فى القافلة عدد من الجرحى رؤى تهريبهم من الطريق السرى .

وظهر أن الطريق لم يكن « سريا » ـ ! ـ لان القافلة اكتشفت بعد فوات الأوان أن اليهود كانوا يتربصون بالطـريق وينتظرون .

صيدا أكثر وفرة من قافلة تضم سبعة عشر شخصا . وقتل ـ لسوء الحظ ـ عدد من أفراد القافلة ، وهام بعض الجرحى على وجوههم وسقط الصاغ معروف الحضرى فى الاسر

وكان أول سؤال وجه اليه : ـ ماهى أخبار الخطة دمشق !

ثم مـــاذا ؟

وفى هذا الاسبوع . . قال الكولونيل عبد الله التـل الذى كان قائد القدس الأردنى وقت محاولة تنفيذ العملية ، وقال بالحـرف الواحد :

« ان الخطة كانت مبيتة للقضاء على قوات الفالوجة بأكملها ! »

ثم ماذا ياصاحب الجلالة الهاشمية ؟

هل سمعت الحكمة التى تقول « اللهم احمنى من أصدقائى ، أمـا أعدائى فأنا كفيل بهم ! »

هل سمعتها يا صاحب الجلالة ؟

الله يحمى مصر !

محمد حسنين هيكل